فؤاد مطر ...

الاتحاد اللبناني

النهار ١٢ صفحة ٢٥ قرشا

ملبس دراجيه دى فرانس على شوكولا ولوز هدايا الأعياد والمناسبات Dragees de France

آخر حديث للتل

أدلى به إلى "النهار" قبل اغتياله بساعات [ص ٨]

إسرائيل قلقة من انتصار مصري ديبلوماسي

الزيات: في الامم المتحدة نستخدم لغة العقل

احتلت إيران ٣ جزر في الخليج

والحديث الأخير لوصفي التل قبل الإغتيال

آخر حديث صحافي مع رئيس وزراء الأردن وصفي التل الذي إغتاله على مدخل فندق "شيراتون" في القاهرة مساء يوم السبت 27 نوفمبر (تشرين الثاني) 1971 شابان فلسطينيان، أجراه فؤاد مطر قبْل ساعتين من إغتياله بدافع الثأر لما جرى خلال أيام من ما سُمي "أيلول الأسود" 1970 في الأردن بين الحكومة والمقاومة الفلسطينية. وقد نشرت الحديث في يوم واحد (الأربعاء أول ديسمبر/كانون الأول 1971) جريدة "السياسة" الكويتية بترتيب مع جريدة "النهار" ثم تناقلتْه وكالات الأنباء العالمية وأفردت له صحف العالم حيِّزاً واسعاً من صفحاتها.

إذا كانت "الصدفة خير من ميعاد" كما يقول المثل السائر فإن الفضول الصحافي هو الذي خلَق الصدفة والصدفة هي التي إنتهت موعداً ثم لقاءاً مع السيد وصفي التل رئيس وزراء الأردن الذي إنتهى بعد ظهر الأحد الماضي ببضع رصاصات أطلقها عليه إثنان من مجموعة شبان فلسطينيين أمام فندق "شيراتون" في القاهرة، في كمين نصبوه له وكان من الصعب عليه أن ينجو منه بسهولة.

ولأبدأ في رواية ذلك اللقاء غير المتوقَع.

مساء الجمعة 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1971 كانت كل المعلومات المتوافرة بالنسبة إليَّ هي أن وصفي التل غادر عمان إلى القاهرة للإشتراك في إجتماعات مجلس الدفاع العربي التي ستبدأ في اليوم التالي. الإذاعات المصرية لم تذكُر في نشراتها الإخبارية شيئاً عن وصوله ولا هي أذاعت نبأ مغادرته عمان. كان الأمر محيِّراً. وكان ذلك هو الشغل الشاغل بالنسبة إلينا كصحافيين. نريد أن نتأكد من وصوله. ونريد أن نعرف مَن إستقبله في المطار. ذلك أن كل هذه الأمور لها دلالات معيَّنة. فإذا كان أحد من المسؤولين المصريين شارك في إستقباله فهذا معناه أن الحجْر السياسي المصري على التل قد رُفع. وإذا كان هذا الأمر لم يتم وإستقبله فقط في مطار

القاهرة الأمين العام للجامعة العربية السيد عبد الخالق حسونة فمعنى ذلك أن الحجْر مستمر وأن ما تم من إتصالات بقيت تجري بين القاهرة وعمان حتى عشية مغادرة التل العاصمة الأردنية لم تسفر عن نتيجة.

ما هي هذه الإتصالات؟

لقد أبلغ السفير الأردني السيد علي الحياري المسؤولين المصريين أن وصفي التل هو الذي سيترأس وفد الأردن إلى اجتماعات مجلس الدفاع وأنه يريد أن يعرف ما إذا كان سيُستقبل رسمياً من قِبَل مصر في المطار. وكان الجواب الذي أعطاه المسؤولون المصريون هو أنهم يفضلون أن يكون الوفد برئاسة مسؤول أردني آخر لأن موقف القاهرة من التل على حاله. وأبلغ الحياري حكومته.

ولم يقتنع وصفي التل بما نقله الحياري عن الموقف المصري. وعاد السفير الأردني يحاول مع المصريين إزالة الحجْر المفروض على التل فأجرى إتصالاً آخر قال فيه ما معناه إنه يقترح أن يقيم حفلة تكريم بصفة كونه سفيراً للأردن في القاهرة ويتمنى أن يحضرها مسؤولون مصريون، وبذلك تزال المرحلة الأولى من الحجْر السياسي. وردَّت القاهرة بأن أحداً من المسؤولين المصريين لن يحضر مثل هذه الحفلة، لأن الموقف المصري حيال التل ثابت ونهائي.

وأُبلغ التل في عمان بنتيجة الإتصال الجديد ومع ذلك أصر على الحضور إلى القاهرة. وأُعلن ذلك في عمان وأُبلغت القاهرة رسمياً بالأمر وأصبح الجميع في مصر عارفين بمجيء التل لأن نبأ بهذا المعنى نشرتْه الصحف المصرية. إلاَّ أن هذه الصحف لم تنشر نبأ وصول التل عندما أصبح بالفعل في الأراضي المصرية. وفعلت الشيء نفسه الإذاعات.

إذاً، كان لا بد لي من التأكد بأن التل وصل بالفعل إلى القاهرة. ماذا أفعل؟ إتصلتُ هاتفياً بفندق هيلتون: هل الوفد الأردني حل عندكم؟

الجواب بعد دقائق: لا يا فندم.

إتصلتُ هاتفياً بفندق "شيراتون": أريد التحدث مع السيد وصفي التل.

إستفسرت عاملة الهاتف عن الطبقة التي يحل فيها الوفد الأردني وبعد دقائق أوصلتني بالجناح المخصص لـ وصفي التل. رد عليَّ أحد الذين كانوا في الجناح. فسألتُه إذا كان في الإمكان التحدث مع الرئيس التل.

أجابني: من أنت.

أوضحتُ له. فقال: الرئيس غير موجود ذهب لتناول العشاء عند الملحق العسكري الأردني.

إلى هذا الحد إنتهى غرضي. ولا أعرف ما الذي خطر في بالي حتى أقول للذي رد عليَّ: أرجو إبلاغ الرئيس التل بأنني إتصلتُ به، وأنني أريد مقابلته.

وقاطعني: هل أنت من نزلاء فندق "شيراتون"؟

وأجبته: لا. إنني في فندق "شبرد".

وقال: ما هو رقم هاتف "شبرد" وما هو رقم غرفتك؟

وأجبته: رقم الهاتف 33800 ورقم الغرفة 823.

وقال: أظن أنه من الصعب أن أرد عليك الليلة لأن الرئيس ربما تأخر.

في الثامنة والنصف صباح السبت 27 تشرين الثاني/نوفمبر أي قبْل ساعتين ونصف الساعة من الموعد المقرر لإفتتاح إجتماعات مجلس الدفاع رن جرس الهاتف في غرفتي.

– صباح الخير.

– صباح الخير.

وقال المتكلم: أنا سكرتير الرئيس وصفي التل. لقد أبلغتُه بأنك إتصلتَ به. هل أنت في الفندق بعد الظهر.

أجبته: نعم.

قال: سنتصل بك بعد الظهر لأن الرئيس التل يريد إستقبالك.

– على بركة الله. قلت.

– مع السلامة. رد سكرتير التل.

بعد ساعة كنا في مبنى الجامعة العربية. تحلَّقنا مجموعة من الصحافيين والمراسلين. وجوه تتقابل في كل مرة يُعقد فيها مؤتمر عربي. الجميع يتحدثون عن وصفي التل. الجميع ينتظرون وصول وصفي التل. كان الإهتمام

واضحاً. وكان مشترَكاً. فالذي يحدُث عادة أن المراسلين الأجانب يرون الأهمية في شخصية ما في حين أن الصحافيين العرب يرونها في شخصية أُخرى. أما هذه المرة فإلتقى الطرفان عند نقطة واحدة. وصول التل إلى القاهرة مهم. حضوره إجتماعات مجلس الدفاع أكثر أهمية. وصل وصفي التل. حاولْنا الإقتراب منه إلاَّ أن الوصول إليه كان صعباً. فهو محاط برجال أشداء من النوع الذي تفرض المواقف الحساسة تواجدهم. إجتاز الباب الخارجي لمبنى الجامعة جاداً. بدأ يبتسم قليلاً للصحافة والمصورين. إتسعت ابتسامته بعض الشيء. وعندما أصبح بالقرب من الباب الرئيسي لقاعة الإجتماعات عادت الجدية تملأ قسمات وجهه.

بدأ إلتقاط الصور. داخل القاعة بعدما دخل الأعضاء وجلسوا. تَحلَّق أمامه المصورون. عشرات بل مئات الصور إلتُقطت. كان كلما أتى على سيجارة تناول أُخرى. الرجل مدخِّن من نوع غير مألوف.

أُخليت القاعة من المصورين ورجال الصحافة بمجرد أن أنهى السيد عبد الخالق حسونة كلمته. المصورون كانوا آخر الذين خرجوا. وكانوا حتى لحظة خروجهم من القاعة واقفين أمام وصفي التل.

بدأت الجلسة الأُولى السرية لمجلس الدفاع. وإنتظرْنا في الخارج. تحلَّقنا من جديد نتباسط في الحديث. الجزء الأكبر من حديثنا كان عن التل وظروف مجيئه إلى القاهرة، والجزء المتبقي كان عن أزمة الشرق الأوسط والمعركة التي تصاعد حديث مصر عنها.

أما لماذا الجزء الأكبر من الحديث عن التل، فلأنه حاول إختراق الحجْر السياسي المصري عليه من جهة، ولأنه في الوقت نفسه قد يفجر قنابل داخل المؤتمر إذا حاول بعض الوفود وبالذات الوفد الليبي إثارة موضوع المقاومة الفلسطينية، يضاف إلى ذلك أن محادثات جدة التي كان في إستطاعتها تحقيق بعض التقدم بفضل المساعي المصرية – السعودية، فشلت، وبدأ مجلس الدفاع أعماله في ظل فشلها.

إنتهت الجلسة السرية. وخرجت الوفود. وما حدث لحظة مجيء التل إلى الجامعة العربية تكرر عند مغادرته الباب الرئيسي لقاعة الإجتماعات. تحلَّقنا حول الوفد الأردني. نريد أن نتلمس الموقف من خلال قسمات وجه التل. رأيناه مرتاحاً قليلاً. خفَّت نسبة الجدية. إرتفعت نسبة إنفراج القسمات. إتسع حجم الإبتسامة للمصورين.

توجهت الوفود إلى حيث تحل. الأكثرية في "شيراتون" والباقون في "شبرد".

وبدأتُ أستقصي. سبب الإنفراج هو أن الجلسة الأُولى كانت مريحة. لم تدْخل بعد المراحل المعقدة. ما زالوا في مرحلة الكلام.

وتوجهتُ إلى غرفتي في فندق "شبرد" أنتظر متى سيتصلون بي لمقابلة وصفي التل وهل بالفعل سيتصلون.

في الثانية والنصف تماماً إتصل بي سكرتير وصفي التل.

– الرئيس ينتظرك في الساعة الرابعة.

– ولكنني مرتبط بموعد سابق مع مسؤول عربي في هذا الوقت. وأرجو إذا كان في الإستطاعة أن يكون الموعد في الثالثة إذا أمكن.

– ... الحقيقة لا أعرف. فالرئيس يتناول الآن غداءه في مطعم الفندق ومنذ لحظات نزل إلى المطعم ولا أظن أنه سيكون جاهزاً في الساعة الثالثة.

– على أي حال أرجو إبلاغه أنه إذا كان من المتعذَر ذلك أن يتم اللقاء في الساعة الخامسة أو السادسة.

– لكن الرئيس مرتبط إبتداء من الساعة السادسة وهو غير مقيَّد بمواعيد من الرابعة حتى السادسة. هل أنت باقٍ في غرفتك. سأبلغه وأرد عليك.

وبعد خمس دقائق إتصل بي سكرتير التل وقال: الثالثة والنصف. ما رأيك. هل هو موعد مناسب؟

– على بركة الله.

– إلى اللقاء.

في الثالثة والنصف تماماً كنت في فندق شيراتون. وإنتظرتُ وصول المصعد. حدث أن توقَّف المصعد في الطبقة الثانية. فجأة دخله التل ومرافقه العسكري وبعض المرافقين المدنيين ورجال الحرس. كان خارجاً لتوه من الغداء في المطعم الكائن في الطبقة الثانية. هو لا يعرفني. حييته وعرَّفته بنفسي. إبتسم وقال أهلاً وسهلاً بك. توقَّف المصعد لينزل منه أحد المرافقين وهو مدني. باب المصعد عصري ومن النوع الذي ينغلق بسرعة. وهو قسمان يُقفل الباب بإلتقائهما. وكثيراً ما يحدُث أن قِسميْ الباب يتحركان ويلتقيان في وقت يكون أحد النزلاء لا يزال في طريقه لدخول المصعد أو الخروج منه فيسبب له إنزعاجاً أو يؤذيه أحياناً. وكاد قِسما الباب يلتقيان على

المُرافق الذي نزل ليكمل المصعد طريقه إلى الطبقة الأخيرة من الفندق حيث الأجنحة، ولمحتُ المرافق العسكري الخاص للتل يوقف تلاقي قِسميْ الباب بحركة خاطفة من يده الضخمة، ويخرج المرافق ويكمل المصعد طريقه.

وصلْنا. ليس في الطبقة حراس كثيرون. إتجهنا إلى جناح التل. رفض التل أن أدخل جناحه بعده. دخلتُ ثم دخل. إنتظرتُ واقفاً ليجلس هو أولاً..

– لماذا يا رجل. إجلس.

جلستُ على كنبة عريضة تحيط بها كنبتان صغيرتان. إختار هو الكنبة التي إلى اليمين. وراءه مباشرة نافذة تطل على النيل الساحر. منظر أخَّاذ. الستائر مفتوحة. بعد دقيقة من جلوسنا قلت للتل هل يمكن أن نعدِّل جلستنا قليلاً فبسبب الضوء الآتي من النافذة لا أستطيع أن أرى وجهك واضحاً بسبب إنعكاسات الضوء. إنتقل إلى الكنبة الصغيرة الأُخرى وقال: هل هذا مناسب.

شكراً.

وبدأنا الحديث.

قلتُ لـه: إنني لا أعرفك حتى الآن وكان يجب أن يتم هذا اللقاء في عمان خاصة وأنها ساخنة متفجرة مليئة بالأحداث منذ سنتين.

وأجاب: الحق عليك. إننا نرحب بك. لماذا لم تأتِ إلى عمان. إننا ننتظرك.

وقلتُ له: هل تعرف أن هذا اللقاء ولَّدته صدفة غريبة؟

ورويتُ له الصدفة. وقلت له:

إنني إتصلتُ بالفندق بهدف التأكد من وصولك لأن إذاعات القاهرة لم تعلن ذلك ثم وجدتُ نفسي أطلب من سكرتيرك إذا كان في الإمكان مقابلتك.

وأجاب: إنه القدَر. على أي حال إنها فرصة طيبة جداً.

وقلتُ لـه: يتوقعون أن تكون نجم المؤتمر. ثم ألا ترى أن الظروف غير مناسبة لمجيئك إلى القاهرة ما دامت العلاقات المصرية – الأردنية تجتاز مرحلة معقدة؟

أجاب: ليست معقدة. إنها ليست سيئة وليست حسنة في الوقت نفسه.

وقلت له: وما هو التعقيد إذاً؟

أجاب: التعقيد إذا كانت سيئة فقط.

وسألتُه: ألم يكن من الأفضل أن يترأس الوفد مسؤول أردني آخر ما دام الحجْر السياسي المصري مفروضاً عليك؟

ورد قائلاً: إن مجلس الدفاع يضم وزراء الدفاع والخارجية ورؤساء الأركان. ولقد جئت بصفة كوني وزيراً للدفاع الأردني وما كان يجب أن أتباطأ في ذلك، ثم إننا نعلِّق أهمية قصوى على هذا الإجتماع.

طلبَ القهوة. جاءت القهوة. وقَّع بنفسه الفاتورة. نَقدَ حامل القهوة ربع جنيه مصري "بقشيش". قبْل أن نرشف الرشفة الأُولى دخلت سيدة. أطلت برأسها ثم إعتذرت بأدب وقالت بصوت مسموع: سأدخل غرفتي من الباب الذي يوصل الصالون بغرفة النوم.

في هذه اللحظة وقف وصفي التل. قال مخاطباً السيدة التي لا أعرف من هي: سعدية تعالي.

وقدمني إليها: زوجتي سعدية.

وقلتُ لها: فرصة سعيدة. أهلاً وسهلاً.

وبعد ثوان دخلت سعدية التل التي كانت ترتدي ثياباً رمادية على بنية فاتحة غرفتها. وتابعْنا الحديث.

كان وصفي التل دخَّن خلال خمس دقائق ثلاث سيجارات من علبة الدخان الأردنية التي وضعها في جيب سترته الأيمن.

وشعرتُ عندما بدأنا نرتشف القهوة أن وصفي التل يتنفس بصعوبة.

فقلتُ له: أراك متعباً. يكفي هذا الوقت وسأراك مطولاً في مرة أُخرى.

ورد بإبتسامة سريعة: لا. عندي مواعيد يبدأ أولها في السادسة مساء وحتى ذلك الوقت يمكنك أن تبقى ويمكننا أن نتحدث.

نتحدث؟ إذاً ماذا في مجلس الدفاع؟

وأجاب: كانت الجلسة الأُولى عادية. وزعوا علينا تقرير اللواء سعد الدين الشاذلي وكنا سنعقد جلسة في المساء إلاَّ أننا أجَّلناها إلى حين وصول الوفد الجزائري. وفي هذه الأثناء سنُجري إتصالات جانبية. ومثل هذه الإتصالات هي الأساس في كل المؤتمرات العربية التي تنعقد. ومواعيدي التي ستبدأ في الساعة السادسة مساء هي لهذا الغرض.

وبدأ التل يشيد بتقرير الشاذلي. قال: لم أقرأ منذ حرب حزيران 1967 كلاماً بهذا التعقل والفهم والإدراك والمسؤولية. إننا لو إعتمدْنا هذا المنطق لسهُلت الأمور ولحققنا نتائج طيبة في كل عمل نقوم به. تَصور إنني قرأتُ التقرير مرتيْن ونحن سنوافق عليه بحرارة. ليس لدينا أي تحفُّظ. كل ما سنفعله سيكون مجرد "روتوش" لبعض الكلمات.

وعاد يقول: إنه تقرير مهم جداً. إن واضعه ذكي وعاقل ويعرف أصول مهنته. إنه عسكري من نوع ممتاز.

وظننتُ أنه إكتفى بهذا المقدار من التحدث عن تقرير الشاذلي فسألتُه:

هل ستُجري إتصالات مع المسؤولين المصريين؟

وأجاب: إذا كنا لن نعطي جميعاً تقرير الشاذلي الأهمية القصوى فسيكون ذلك تقصيراً من جانبنا.

وأضاف: تسألني عن الإتصالات مع المسؤولين المصريين. لقد إجتمعتُ بوزير الحربية المصري الفريق أول محمد أحمد صادق. وكان الإجتماع بين وزيريْ دفاع وتحدثنا في أمور عسكرية.

وقلتُ له: ما هذا التناقض. هنالك حجْر سياسي مفروض عليك من مصر وفي الوقت نفسه تجتمع بالفريق أول صادق وتتحدثان في أمور عسكرية.

وأجاب: هذا أمر طبيعي. إن التناقضات كثيرة ولكن الهدف في نهاية الأمر واحد. أليس من الغريب أن يقال إن الوفد العسكري اليمني إلى إجتماعات رؤساء الأركان لم يتمكن من الوصول إلى القاهرة بسبب عدم توافر طائرة تقله. كيف يحدث ذلك. المؤتمر منعقد للبحث في المعركة ووفد إحدى الدول العربية لم يجد طائرة تقله إلى المؤتمر. هذه قومية المعركة يا سيدي؟

وما دمنا في الحديث عن التناقض ما رأيك أننا ننسق مع سوريا أموراً عسكرية في حين أن الحدود مغلقة بين بلدينا؟

وسألتُه: وهل ستبقى مغلقة؟

وأجاب: يجب أن تكون دائماً مفتوحة. كذلك عقولنا. كذلك قلوبنا.

ووجدْته يقول لي: هل قرأتَ مقال هيكل أمس (الجمعة). إنه ممتاز. صحيح أن لي موقفاً من هيكل وآرائه وكتاباته. وصحيح أن له هو الآخر موقفاً مماثلاً.. إلاَّ أن كلامه أمس أعجبني جداً. إنه يخاطب العقول العربية.

وقلتُ له: في مقال هيكل نقاط كثيرة ومهمة على الصعيديْن: الداخلي المصري والعربي، فما الذي إستوقفك فأعجبك حتى تقول ذلك؟

وأجاب: المقال كله، ولو كان لي أن أضيف لزدتُ عليه. إنه يقول في آخر المقال "الآن كلمات أقل وأفعال أكثر... نبرات أهدأ وخطوات واثقة محسوبة... من فضلكم". أما ما كنت سأضيفه فهذه العبارة "إن المطلوب الآن أكثر من أي وقت مضى هو صب مياه باردة على عواطفنا وحناجرنا...".

وقلت له: لماذا لا تقول أنت ذلك من عمان أو داخل إجتماعات مجلس الدفاع؟

وأجاب: إنني أتصرف في إطار هذا الكلام.

وقلت له: ماذا بشأن الجبهة الشرقية. هل تنوون إثارة هذا الموضوع في مجلس الدفاع؟

وأجاب: إذا كانوا يخططون لمعركة فيجب أن تكون الجبهة السورية – الأردنية قوية.

وقلت له: أراك لم تذكُر العراق.

وأجاب: العراق له تعجيزاته. وعملنا نحن خط المواجهة الحقيقي. سوريا والأردن هي هذا الخط ويجب تقويته بحيث يصبح قادراً على المواجهة. إن هذا الخط في وضْعه الحالي لا يستطيع سوى الدفاع عن نفسه، وربما إستطاع. فإذا كانت القوات المصرية قادرة على أن تدخل بضعة كيلومترات داخل سيناء فإن لها عمقها الكبير، أما نحن فوضعنا مختلف. سوريا لا عمق لها والأردن كذلك. وإذا كنا سنخوض المعركة فمعنى ذلك أن عمق كل من سوريا والأردن سيكون مهدداً.

وأضاف: إنني جندي وأعني ما أقول. وأبني كلامي على دراية ومعرفة وخبرة وإطلاع على الأمور العسكرية.

وفي الماضي تحدثتُ مع الرئيس جمال عبد الناصر في هذه الأمور.

وقلت له: وماذا تتوقع من مجلس الدفاع؟ وهل ستقدِّمون إقتراحات معيَّنة؟

وأجاب: ليس في خُططنا حتى الآن تقديم إقتراحات، إنما إذا كان لا بد بالفعل من إحياء الجبهة الأردنية – السورية فمن الواجب الإفراج عن مساعدات الدعم الكويتية والليبية لنا.

وقلت له: إلاَّ أنك لم تقل لي ماذا تتوقع من مجلس الدفاع؟

وأجاب: إذا سارت الأمور على ما يرام فإنني أتوقع أن يصل المجلس إلى نتائج طيبة فيضع إستراتيجية سياسية وعسكرية موحَّدة نعمل في هديها. أتوقع أيضاً أن يسمي قيادات تعمل وتُنسق. وعلى هذا الأساس يجب أن تُعقد قمة جديدة خلال أسبوعين.

وأضاف: ومعنى ذلك أننا سنعود إلى المرحلة التي تلت قمة الخرطوم عام 1967.

وقلت له: وماذا سيفيد ذلك؟

وأجاب: أهمية قمة الخرطوم أنها كانت واضحة وحددت خطة عمل على الصعيديْن العسكري والسياسي. وبعد سنتيْن بدأ الوضع يتبدل. لم يعد هناك تنسيق. لقد كان الإخوان في مصر يحرصون على إطلاعنا على كل شيء في بادئ الأمر ثم تضاءل التنسيق فأصبحنا نُبلَّغ شفهياً ثم تدهورت العلاقات بعض الشيء فأصبح كل منا يعمل بالطريقة التي تناسبه. وإذا إستطاع مجلس الدفاع أن يضع إستراتيجية جديدة فإن الأمور قد تستقيم ويصبح العمل أكثر جدية وعندها لا يعود هنالك مجال للمياه الباردة تُصب على الحناجر والعواطف، ويصبح الحديث عن المعركة مقبولاً.

وقلت له: ولكن الأمور بين عمان والقاهرة تدهورت بسبب موقفكم من المقاومة الفلسطينية.

وأجاب: لو كان هنالك تنسيق، أو بالأحرى لو وُضعت إستراتيجية جديدة لتنسيق العمل على الصعيديْن العسكري والسياسي لأصبحت مواقع المقاومة محدَّدة ومضمونة ومدروسة.

وقلت له: ولكنكم لم تتركوا شيئاً من المقاومة.

ولم يُجب وقال: لقد عثرتُ حديثاً على محاضر جلسات وزراء الدفاع العرب وقرأتُها قبْل أن آتي إلى القاهرة. وأنا أطلب من المقاومة أن تقرأ هذه المحاضر وتتمعن في سطورها.

وقلت له: هل أستطيع تسجيل وجهات نظرك وكلامك هذا؟

وأجاب: إننا نتباسط في الحديث وأرجو ألاَّ تسجل شيئاً. وفي الجلسة الأولى لمجلس الدفاع طُلب من جميع الوفود أن تلتزم الصمت حيال كل ما يجري داخل المؤتمر وأن يترك كل وفد التصريحات والكلام الذي يريد أن يقوله حول أي موضوع إلى ما بعد إنتهاء المؤتمر كي لا يتسبب الكلام في عرقلة أعمال المؤتمر. وأنا ملتزم بذلك.

* * *

وإنتهى الكلام. ساعة من الكلام مرت سريعة.

وقام التل من مقعده. وودعتْه. فقال: سأوصلك إلى باب المصعد.

وقلت له: لا ضرورة لذلك.

لكنه أصر وأوصلني. لا أعرف سبب هذا الإصرار عِلْماً بأنها المرة الأولى التي أجتمع فيها به. وإنتظرْنا وصول المصعد. بقينا واقفيْن خمس دقائق.

وودعْتُه ودخلت المصعد.

وقال: سنكمل الحديث في عمان. ما رأيك؟

ونزلتُ إلى بهو الفندق وجلستُ على كنبة تَبعد قليلاً عن المكان الذي سقط فيه التل جثة هامدة أسجل ما قاله على أساس أن يكون هذا الكلام خلفية لما قد يُكتب مستقبلاً عن الأردن ومواقفه في ضوء ما ستسفر عنه إجتماعات مجلس الدفاع... وهي عادة قديمة ألجأ إليها كصحافي مخافة أن تشوه الذاكرة كلاماً يقوله مسؤول كبير أو صغير.

ولم أكن أتصور أن ما سجلْته سيصبح حديثاً مع التل... آخر حديث مع صحافي شاءت الأقدار أن يتم في لقاء لم يكن مخطَّطاً له وإنما ساقته هذه الأقدار.

وإنتهى وصفي التل وقد حقق نصف أمنيته. كانت الأمنية أن يأتي إلى القاهرة ويُرفع الحجْر السياسي المصري عنه ليبدأ صفحة جديدة من العلاقات. وتَحقق نصف الأمنية. جاء إلى القاهرة لكن الحجْر لم يُرفع. وبعد الآن أصبح الحجْر لا قيمة له. فالرجل إنتهى.

لقد جاء وصفي التل إلى القاهرة. وبسبب الحجْر السياسي لم يُنشر حتى خبر وصوله. وبعد يوميْن أصبح الخبر الصغير الذي لم يُنشر أهم خبر منذ وفاة جمال عبد الناصر. والذين رافقوا جثمانه إلى عمان كانوا كثيرين، في حين أن واحداً منهم كان سيحقق له النصف المتبقي من الأمنية لو أنه إستقبله في المطار ساعة وصوله.

نصف الأمنية تَحقق. والحديث لن يُستكمل في عمان. كم هي مثيرة الأقدار.

نُشر الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الجمعة 1 ديسمبر/كانون الأول 1971

في آخر حديث مع صحافي قبل اغتياله بساعات:

التل لـ "النهار": ما كان يجب أن أتباطأ في الحضور إلى القاهرة المطلوب الآن أن نصبّ مياهاً باردة على عواطفنا وحناجرنا إذا كانوا يخطّطون لمعركة فيجب أن تكون الجبهة الشرقية قويّة يجب أن تعقد قمّة عربيّة جديدة خلال أسبوعين

اذا كانت « الصدفة خير من ميعاد » كما يقول المثل فان الفضول الصحافي هو الذي خلق الصدفة والصدفة هي التي انتهت موعدا ثم لقاء مع السيد وصفي التل رئيس وزراء الاردن قبل اغتياله ببضع ساعات .

مساء الجمعة ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧١ كانت كل المعلومات المتوافرة لدي هي ان وصفي التل غادر عمان الى القاهرة للاشتراك في اجتماعات مجلس الدفاع العربي المقررة ان تبدأ في اليوم التالي . الاذاعات المصرية لم تذكر في نشراتها الاخبارية شيئا عن وصوله ولا هي اذاعت نبأ مغادرته عمان . وكان الامر محيرا . وكان ذلك هو الشغل الشاغل بالنسبة الينا كصحافيين . نريد ان نتاكد من وصوله. ونريد ان نعرف من استقباله في المطار. فتلك امور لها دلالات معينة . فاذا كان احد من المسؤولين المصريين شارك في استقباله فمعنى هذا ان الحجر السياسي المصري على التل قد رفع. واذا كان الذي استقبله في مطار القاهرة هو الامين العام للجامعة العربية السيد عبد الخالق حسونة فحسب فمعنى ذلك ان الحجر مستمر وان ما تم من اتصالات بقيت تجري بين القاهرة وعمان حتى عشية مغادرة التل العاصمة الاردنية لم تسفر عن نتيجة.

الاتصالات

ما هي هذه الاتصالات ؟ لقد ابلغ السفير الاردني السيد علي الحياري المسؤولين المصريين ان وصفي التل هو الذي سيرئس وفد الاردن الى اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك . وعاد السفير الاردني يحاول مع المصريين ازالة الحجر المفروض على التل فاجرى اتصالا اخر قال فيه ما معناه انه يقترح ان يقيم حفلة تكريم بصفة كونه سفيرا للاردن في القاهرة وبتبنى ان يحضرها مسؤولون مصريون ، وبذلك تزال المرحلة الاولى من الحجر السياسي . وردت القاهرة بان احدا من المسؤولين المصريين لن يحضر مثل هذه الحفلة ، لان الموقف المصري حيال التل ثابت ونهائي .

وابلغ التل في عمان نتيجة المسعى الجديد ومع ذلك اصر على الحضور الى القاهرة . واعلن ذلك في عمان وابلغت القاهرة رسميا الامر واصبح بالفعل في الاراضي المصرية وكذلك فعلت الاذاعات .

لا يا فندم

اذا ، كان لا بد لي من التاكد من ان التل وصل بالفعل الى القاهرة . ماذا افعل ؟

اتصلت هاتفيا بفندق هيلتون : هل الوفد الاردني حل عندكم ؟

الجواب بعد دقائق : لا يا فندم.

اتصلت بفندق شيراتون : اريد التحدث الى السيد وصفي التل .

استفسرت عاملة الهاتف عن الطبقة التي يحلفيها الوفد الاردني وبعد دقائق وصلتني بالجناح المخصص لوصفي التل . رد علي احد الذين كانوا في الجناح . سالته اذا كان في الامكان التحدث الى الرئيس التل .

ولم يقتنع وصفي التل بما نقله الحياري عن الموقف المصري . وعاد السفير الاردني يحاول مع المصريين ازالة الحجر المفروض على التل فاجرى اتصالا اخر قال فيه ما معناه انه يقترح ان يقيم حفلة تكريم بصفة كونه سفيرا للاردن في القاهرة وبتبنى ان يحضرها مسؤولون مصريون ، وبذلك تزال المرحلة الاولى من الحجر السياسي . وردت القاهرة بان احدا من المسؤولين المصريين لن يحضر مثل هذه الحفلة ، لان الموقف المصري حيال التل ثابت ونهائي .

وابلغ التل في عمان نتيجة المسعى الجديد ومع ذلك اصر على الحضور الى القاهرة . واعلن ذلك في عمان وابلغت القاهرة رسميا الامر واصبح بالفعل في الاراضي المصرية وكذلك فعلت الاذاعات .

لا يا فندم

اذا ، كان لا بد لي من التاكد من ان التل وصل بالفعل الى القاهرة . ماذا افعل ؟

اتصلت هاتفيا بفندق هيلتون : هل الوفد الاردني حل عندكم ؟

الجواب بعد دقائق : لا يا فندم.

اتصلت بفندق شيراتون : اريد التحدث الى السيد وصفي التل .

استفسرت عاملة الهاتف عن الطبقة التي يحلفيها الوفد الاردني وبعد دقائق وصلتني بالجناح المخصص لوصفي التل . رد علي احد الذين كانوا في الجناح . سالته اذا كان في الامكان التحدث الى الرئيس التل .

التل انني اتصلت به ، وانني اريد مقابلته .

وقاطعني : هل انت من نزلاء فندق شيراتون ؟

واجبته : لا . انني في فندق شبرد .

وقال : ما هو رقم هاتف شبرد وما هو رقم غرفتك .

واجبته : رقم الهاتف ٣٣٨٠٠ ورقم الغرفة ٨٢٣ .

وقال : اظن انه من الصعب ان ارد عليك الليلة لان الرئيس ربما تاخر.

قبل تحديد المقابلة

في الثامنة والنصف صباح السبت ٢٧ تشرين الثاني اي قبل ساعتين ونصف الساعة من الموعد المقرر لافتتاح اجتماعات مجلس الدفاع ، رن جرس الهاتف في غرفتي .

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير .

وقال المتكلم : انا سكرتير الرئيس وصفي التل . لقد ابلغه انك اتصلت به . هل انت في الفندق بعد الظهر ؟

اجبته : نعم .

قال : سنتصل بك بعد الظهر لان الرئيس التل يريد استقبالك .

ـ على بركة الله ، قلت .

ـ مع السلامة ، رد سكرتير التل.

بعد ساعة كنا في مبنى الجامعة العربية. تحلقنا مجموعة من الصحافيين والمراسلين . وجوه تتقابل في كل مرة يعقد مؤتمر عربي . الجميع يتحدثون عن وصفي التل . الجميع ينتظرون وصول وصفي التل . كان

وصفي التل في احدى آخر صوره.

التناقضات كثيرة لكن الهدف في نهاية الامر واحد . اليس من الغريب ان يقال ان الوفد العسكري اليمني الى اجتماعات رؤساء الاركان لم يتمكن من الوصول الى القاهرة لعدم توافر طائرة تنقله ؟ كيف يحدث ذلك ، والمؤتمر منعقد للبحث في المعركة وفد احدى الدول العربية لم يجد طائرة تنقله الى المؤتمر . هذه قومية المعركة يا سيدي ؟

وما دمنا في الحديث عن التناقض، ما رايك في اننا ننسق مع سوريا امورا عسكرية في حين ان الحدود مغلقة بين بلدينا ؟

وسالته : وهل تبقى مغلقة ؟

اجاب : يجب ان تكون دائما مفتوحة . كذلك عقولنا . كذلك قلوبنا .

مقال هيكل

ووجدته يسالني : هل قرات مقال هيكل امس (الجمعة) . انه من ناز . صحيح ان لي موقفا من هيكل وكتاباته . وصحيح ان له هو ارائه موقفا مماثلا ، الا ان كلامه اخر اعجبني جدا . انه يخاطب اله امس العربية .

قلت : في مقال هيكل نقاط مهمة على الصعيدين الداخلي اسرة والعربي ، فما الذي استوقفك في عجبك حتى تقول ذلك ؟

اجاب : المقال كله ولو كان اضف لزدت عليه . انه يقول في ان المقال « الان كلمات اقل وافعال اكثر ... نبرات اهدا وخطوات اكثر

نقرا هذه المحاضر ونتمعن في سطورها.

وقلت له : هل استطيع تسجيل وجهات نظرك وكلامك هذا ؟

واجاب : اننا نتباسط في الحديث وارجو الا تسجل شيئا . وفي الجلسة الاولى لمجلس الدفاع طلب من جميع الوفود ان نلتزم الصمت حيال كل ما يجري داخل المؤتمر وان يترك كل وفد التصريحات والكلام الذي يريد ان يقوله حول اي موضوع الى ما بعد انتهاء المؤتمر لئلا يتسبب الكلام في عرقلة اعمال المؤتمر . وانا ملتزم بذلك .

★★★

وانتهى الكلام . ساعة من الكلام مرت سريعة .

وقام التل من مقعده . وودعته . فقال : سأوصلك الى باب المصعد .

على انه اصر واوصلني . لا اعرف سبب هذا الاصرار علما بانها المرة الاولى التي اجتمع فيها به . وانتظرنا وصول المصعد . بقينا واقفين خمس دقائق .

وودعته ودخلت المصعد .

وقال : سنكمل الحديث في عمان ما رايك ؟

ونزلت الى بهو الفندق وجلست على كنبة تبعد قليلا عن المكان الذي سقط فيه التل جثة هامدة اسجل ما قاله على اساس ان يكون هذا الكلام خلفية لما قد يكتب مستقبلا عن الاردن ومواقفه في ضوء ما ستسفر عنه اجتماعات مجلس الدفاع . وهي عادة قديمة الجأ اليها مخافة ان تشوه الذاكرة كلاما ما يقوله مسؤول كبير او صغير.

ولم اكن اتصور ان ما سجلته سيصبح حديثا مع التل... آخر حديث مع صحافي شاءت الاقدار ان يتم في لقاء لم يكن مخططا له انما ساقته هذه الاقدار .

وانتهى وصفي التل وقد حقق نصف امنيته . كانت الامنية ان يأتي الى القاهرة ويرفع الحجر السياسي المصري عنه ليبدا صفحة جديدة من العلاقات . وتحقق نصف الامنية . جاء الى القاهرة لكن الحجر لم يرفع . وبعد الان اصبح الحجر غير ذي قيمة. فالرجل انتهى .

لقد جاء وصفي التل الى القاهرة . وبسبب الحجر السياسي لم ينشر حتى خبر وصوله . وبعد يومين اصبح الخبر الصغير الذي لم ينشر اهم خبر منذ وفاة جمال عبد الناصر . والذين رافقوا جثمانه الى عمان كانوا كثيرين، في حين ان واحدا منهم كان سيحقق له النصف المتبقي من الامنية لو انه استقبله في المطار ساعة وصوله .

نصف الامنية تحقق . والحديث لن يستكمل في عمان . كم هي مثيرة الاقدار .

شدانة ناشيونال بنك ولهم كوهان لمتد لندن